أهمية معرفة الانسان

أ. د. عبدالله اوزبك[P]

مدخل :

توجهت الرسالة الالهية الى الانس والجن من بين المخلوقات. ومقصود خلقهما كلاهما العبودية لله.[١]

وقد وهب الانسان العقل ليستقيم له تحصيل هذه الغاية.[٢] ومن خصوصيات العقل الاساسية" البحث عن السبب، وتفسير الشئ او الحادث بربطه بشئ او حادث آخر. ويلجأ سعيد النورسي الى هذه الخصوصية عموماً حينما يتطرق الى اثبات وجود الله وصفاته. وتمثيله التقليدي هو ان "لا حرف بغير كاتب، ولا قانون بغير حاكم".[٣] ويمثل لاثبات حكمة الله الظاهرة في افعاله كلها، بحسن تقويم الانسان والسمو في اعضائه وتناسقها وفوائدها.[٤] إن هذه الامثلة نماذج في غاية الحسن من اجل "تربية العقل" [٥]

"لم يُقرّ ان العقل وحده كاف للانسان. فقد اسند بارسال النبي والكتاب" "من جهة اخرى، الانسان مصغّر للعالم الكبير" [٦] مع ذلك، سخرت الكائنات لخدمته.

ان الانسان وجود اصيل ومتشعب. والقرآن والحديث يعرّفان الانسان بأوجهه المتنوعة. كذلك النظم العلمية المتطورة تعين على معرفة الانسان وفهمه. ان المعرفة والعلم بالمادة الاولية ضرورية لتحويلها الى مادة مصنوعة. كذلك معرفة الانسان ضرورية للارتقاء الى مقام "العبودية" السابق.

والرسائل[٧] تصرف النظر الى فطرة الانسان في كثير من المواضع، وتقدم معلومات منهجية بشأن كيفية توجيهها. بل تأخذ الخصوصيات المتنوعة للفطرة بنظر

P من مواليد سنة ١٩٥٠ في اوردو .أكمل دراساته العليا في قونية وانتدبته الدولة الى العراق سنة ١٩٨٠وحصل على الدكتوراه سنة ١٩٨٥ واصبح أستاذا سنة ١٩٩٥ وكان مساعد العميد لكلية الإلهيات في جامعة سلجوق سنة١٩٩٥-١٩٩٦وحاليا رئيس قسم التعليم الديني فيها. له أبحاث كثيرة وستة مؤلفات منشورة .

١ - الذاريات / ٥٦

٢ - العقل جهاز في خدمة الانسان، فاذا استخدمه لخدمة نفسانيته اورثه الخسار. انظر سعيد النورسي، الكلمات (ص ٢٨)

٣ - النورسي، سوزلر (الكلمات) ص ٦١

٤ - النورسي، سوزلر (الكلمات) ٦٨

٥ - النورسي، سوزلر ٦١ - ٦٩

٦ - النورسي - سوزلر ٤٣ - ٦٨

٧ - اينما وردت كلمة " الرسائل " فالمقصود رسائل النور.

الاعتبار حتى في اثبات الخالق وضرورة العبادات.[٨] وارى ان سر "تربوية الرسائل" يكمن ههنا. " والبحث عن السبب، وتفسير الشئ او الحادث بربطه بشئ او حادث آخر" من اهم خصوصيات العقل، كما ذكرنا آنفاً.

في مواضع كثيرة من الرسائل، يورد سعيد النورسي انتقادات الى المتصوفة والمتكلمين في فهمهم لعالم الوجود وبالتالي تعريفهم للانسان. فهو يرد رداً قاطعاً رفض المتصوفة للوجود بقصد إجلال الله، يعني "لا موجود إلا هو" او "لا مشهود إلا هو" ، واغفالهم الكائنات باسدال ستار النسيان عليها.[٩] فيؤكد على أن "لا معبود إلا هو" وعلى أن "لا مقصود إلا هو" ، فـ "الاصل هو ادراك ان كل خصوصية ظاهرة في الاشياء هي فعل لفاعل. هذا نهج القرآن.[١٠]

ان هذه المفاهيم موضوع مهم للتدبر في ميدان علم التوحيد.

ومعرفتنا للانسان ينفعنا في معرفة ما ينبغي ان يكون ايضاً. وارى ان تدقيق الرسائل من هذه الزاوية، يمهد الطريق للفهم ويحقق فائدة كثيرة.

الخصوصيات الفطرية في الرسائل :

أ ـ الانسان مخلوق متشعب ومتنوع التوجهات:

اهم فارق يميز الانسان عن غيره من الاحياء، أنه يجئ الى الدنيا بغير علم.اما الاحياء الآخرى، فتاتي مبرمجة، ثم لا تتطور في حياتها الى الامام.ان الانسان يحل في الدنيا حاملاً معه مجموعة من المواهب والنويات الحياتية ـ النفسية ومن الضروري ان تتطور هذه المواهب والنويات. يعني ان الانسان وجود ذو ملكات (قابليات) وليس من الحكمة ترك هذه الملكات على حالها ، بل المطلوب تطويرها وتحسينها بالتربية والتعليم، كما قال كانط: "الانسان لا يكون انساناً إلا بالتعليم" [١١]

بينت الرسائل هذه الحقيقة في مواضع كثيرة باوجهها المتعددة، واولها احتواء الانسان على الآلاف من الاحاسيس وضرورة التنبه اليها : ـ

" فأظن ان سبباً من اسباب غياب التأثير لنصح الناصحين في زماننا هو : قولهم لاناس فاقدي الاخلاق : ـ لا تحسد! لا تحرص! لا تعادي! لا تعاند! لا تحب الدنيا! فهم يحملونهم بعشرات التكاليف مما لا تطاق ظاهراً فكأنهم يقولون: استبدل فطرتك ولو انهم قالوا: "وجهوا وجهة هذه الامور الى الخير، وبدلوا مجراها" لحصل تأثير للنصح ولوقع امر التكليف في دائرة اختيارهم." [١٢]

"مراتب الارتقاء والهبوط في الانسان لا تحصر ولا تحصى. لذلك صار الانسان هدفاً للشيطان. فلا يتسلط الشيطان على الملائكة ولا على الحيوانات لثبوت مراتبهم.

---

٨ ـ النورسي ، سوزلر ـ ٢٣

٩ ـ النورسي، مكتوبات، ٣٣٨ ـ ٣٣٩

١٠ ـ النورسي، الكتوبات، ٣٤١ ـ ٣٤٢

١١ ـ انظر Takiyettin Mengusoglu, Felsefi Antropologinin Isiginda Egitim,Sh13-15.T,T. Kurumu ANK. 1977

١٢ ـ النورسي ـ المكتوبات ٣٣ ـ ٣٤

اما الانسان، ففيه بعد طويل للارتقاء، بدءاً من "النماردة" و "الفراعنة" الى الصديقين الاولياء والانبياء".[١٣]

ويفسر سعيد النورسي الطرد من الجنة بهذا المنظار فيقول. " ...لولا طرد آدم عليه السلام من الجنة، لما انكشفت الاستعدادات البشرية." [١٤]

وقد سئل سعيد النورسي عن وجه التوفيق بين الآيتين الكريمتين" **ولقد كرمنا بني آدم** ..."[١٥] و "...**انه كان ظلوماً جهولاً** " [١٦] فاجاب:

ان الحق سبحانه وتعالى يخلق بكمال قدرته اشياء كثيرة من شئ واحد، ويجعله قائماً بوظائف كثيرة ويكتب الف كتاب وكتاب في صحيفة واحدة. فهكذا خلق الانسان نوعاً جامعاً لكثير من الانواع. يعني اراد انفاذ وظائف بقدر الدرجات المتنوعة لأنواع الحيوانات كافة بنوع الانسان الوحيد. فلم يضع حداً لقوى البشر واحاسيسه بالفطرة. يعنى لم يقيدها بالفطرة، بل تركها حرة. اما قوى سائر الحيوانات واحاسيسها فهي محدودة، ومقيدة بقيد الفطرة. والحال ان قوى الانسان كلها تجول في ابعاد بغير حدود تقرب من اللانهاية. لقد منحت قواه استعداداً لا نهاية له، لان الانسان مرآة لتجليات لا نهاية لها لاسماء خالق الكائنات.

فمثلاً: لو اعطي الانسان الدنيا برمتها، لقال بحرصه: هل من مزيد؟ [١٧] وهو يرضى بالحاق الضرر بالوف من الناس في سبيل انانيته ومنفعته الذاتية.

وهكذا قد ينكشف الانسان في الاخلاق السيئة بدرجات لا حد لها تصل به الى دركات النماردة والفراعنة فيكون "ظلوماً" بصيغة المبالغة، وقد تنفتح امامه درجات الرقي بلا نهاية في الاخلاق الحسنة حتى يرتقي الى مرتبة الانبياء والصديقين.

ثم ان الانسان - بخلاف الحيوان جاهل بكل ما يخص الحياة ويلزمها ومضطر الى تعلم كل شئ.[١٨] فهو "جهول" بصيغة المبالغة لانه محتاج الى ما لا يحد من الاشياء.

اما الحيوان، فهو اذ يفتح عينه على الحياة لا يحتاج إلا الى اشياء يسيرة. فضلاً عن انه يتعلم شروط حياته في شهر او شهرين او في يوم او يومين، وربما في ساعة او ساعتين. فكأنه اكتمل في عالم آخر ثم جاء. اما الانسان، فلا يقدر على الوقوف منتصبا بالاعتماد على نفسه إلا بعد سنة أو سنتين، ولا يعرف نفعه من ضره إلا بعد خمس عشرة سنة.

والمبالغة في (جهولاً) تشير الى هذا ايضاً [١٩]

ان اسباب تنوع التوجهات وتشعبها في الانسان هي:

١ - اراد الله ان يذيق الانسان انواع الانعم كلها.

٢ - ليكون طالباً وراغباً لكل نوع من انواع النعم.

---

١٣ - المصدر السابق ٤٣ - ٤٤

١٤ - المصدر السابق ٤٢ - ٤٣

١٥ - الاسراء / ٧٠

١٦ - الاحزاب / ٧٢

١٧ - ورد هذا التعبير في القرآن الكريم في جهنم: "يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد؟" (ق – ٣٠) فكأنه يشبه الحرص على المال في النفس الانسانية بحرص جهنم على العصاة.

١٨ - فالانسان من هذه الجهة مخلوق للتعلم.

١٩ - المصدر السابق ص ٣٤٠

٣ - ليعرض الانسان التجليات اللانهائية لاسمائه الحسنى في الحسيات والمشاعر.[٢٠]

ب - **الانسان مخلوق طالب :**

يبين سعيد النورسي شعور الانسان بالطلب في ايضاحه للآيتين الكريمتين **"ادعوني استجب لكم..."** [٢١] و **" قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم"** [٢٢] فيقول: "لولا ارادته بالعطاء لما جعل الطلب" [٢٣] يعني الاحساس بالطلب.

ج - **الانسان ميت لا محالة :**

حقيقية الموت، من أعظم ما يشغل الفكر البشري. من زاوية اخرى للنظر: حقيقة الموت يشكل فلسفة الحياة. فلا مراء في اختلاف نمط الحياة اختلافاً واسعاً عند من يرى الموت عدماً أو يفهمه عبوراً الى حياة جديدة اخرى.

" كل نفس ذائقة الموت".[٢٤] هذا حق صريح، لا مفر من الاقرار به، إنما المسألة في الايمان بالآخرة او إنكارها. فعلم النفس المعاصر والعلوم الاخرى المهتمة بالانسان تقرر بداية حياة الانسان بالاخصاب ونهايتها بالموت. وهو المفزع والمهول.

ونعرف بالقرآن الكريم ان المادة الاساسية في الخلق الاول للانسان هي التراب، ثم قانون الاخصاب بعد ذلك...وان الموت مرحلة عبور.[٢٥]

وقد ورد في الرسائل :

" ان الموت في حقيقته تسريح وانهاء لوظيفة الحياة الدنيا. وهو تبديل مكان وتحويل وجود، وهو دعوة الى الحياة الباقية الخالدة ومقدمة لها. اذ كما ان مجئ الحياة الى الدنيا هو بخلق وبتقدير الهي، كذلك ذهابها من الدنيا ايضاً بخلق وتقدير وحكمة وتدبير الهي، لان موت ابسط الاحياء - وهو النبات - يظهر لنا نظاماً دقيقاً وابداعاً للخلق هو اعظم من الحياة نفسها وانظم منها. فموت الاثمار والبذور والحبوب الذي يبدو ظاهراً تفسخاً وتحللاً هو في الحقيقة عجن لتفاعلات كيمياوية متسلسلة في غاية الانتظام وامتزاج لمقادير العناصر في غاية الدقة والميزان.

وتركيب وتشكل للذرات بعضها ببعض في غاية الحكمة والبصيرة، حتى ان هذا الموت الذي لا يرى بنظامه الحكيم ودقته الرائعة، هو الذي يظهر في حياة السنبلة. موت البذرة اذن هو مبدأ حياة السنبلة. بل هو بمثابة عين حياتها. لذلك، الموت ايضاً مخلوق ومنتظم بقدر الحياة.

وان ما يحدث في معدة الانسان من موت لثمرات حية او غذاء حيواني هو في حقيقته بداية ومنشا للحياة الانسانية، فهذا الموت مخلوق ومنتظم ارقى من حياتها.

فلئن كان موت النبات - وهو في ادنى طبقات الحياة - مخلوقاً ومنتظماً بحكمة، فكيف بالموت الذي يصيب الانسان وهو في ارقى طبقات الحياة ؟ فلا شك ان موته

---

٢٠ - لمعلومات اكثر تفصيلاً انظر: النورسي - شعالر (الشعاعات) ، ٥٧ - ٥٨
٢١ - غافر / ٦٠
٢٢ - الفرقان / ٧٧
٢٣ - المصدر السابق ص ٣١٠
٢٤ - آل عمران / ١٨٥
٢٥ -انظر: المؤمنون / ١٦ - والحج / ٥

هذا سيثمر حياة دائمة في عالم البرزخ، تماماً كالبذرة الموضوعة تحت التراب والتي تصبح بموتها نباتاً رائعاً في الجمال والحكمة فوق الارض.

اما كيف يكون الموت نعمة ؟

فالجواب: سنذكر اربعة وجوه فقط من اوجه النعمة والامتنان الكثيرة للموت.

اولها : الموت انقاذ للانسان من اعباء وظائف الحياة الدنيا ومن تكاليف المعيشة المثقلة وهو باب وصال في الوقت نفسه مع تسعة وتسعين من الاحبة الاعزاء في عالم البرزخ فهو اذن نعمة عظمى.

ثانيها : انه خروج من قضبان سجن الدنيا المظلم الضيق المضطرب ودخول الى رحمة المحبوب الباقي في حياة سرور وفسحة وراحة وبقاء.

ثالثها : ان الهرم وامثاله من الاسباب الداعية لجعل الحياة عسيرة ومرهقة، تظهر ان الموت اعظم انعاماً من الحياة. فلو تخيلت اجدادك مع احوالهم المؤلمة قابعون امامك الآن مع والديك وقد بلغا ارذل العمر، لفهمت مدى كون الحياة نقمة والموت نعمة. بل يمكن ادراك سعة الرحمة في الموت وشدة العسر في ادامة الحياة بالتآمل في الحشرات الجميلة العاشقة للزهور اللطيفة عند اشتداد البرد القارس عليها شتاء.

رابعا : كما ان النوم راحة للانسان ورحمة، لا سيما للمبتلين والمرضى والجرحى، كذلك الموت - وهو اخو النوم - رحمة ونعمة عظمى للمبتلين ببلايا عظيمة قد تدفع الى الانتحار.

اما اهل الضلال، فالموت لهم كالحياة نقمة عظمى وعذاب في عذاب كما اثبتنا ذلك في "كلمات" متعددة اثباتا قاطعا، وذلك خارج بحثنا هذا." [٢٦]

د - **الانسان مخلوق يمتلك حس الخلود** :

الانسان يمتلك حب الخلود بالفطرة بآماله وآلامه اللانهائية.[٢٧] والحقيقة انه خلق للخلود،[٢٨] لان الدنيا بخصائصها لا توفي باحتياجاته.[٢٩] ولو انه لم يخلق للخلود، لما جعله الله بهذا الحال.[٣٠] ونجد الميل الى الخلود في قصة خروجه من الجنة ايضاً. فقد كان لآدم وحواء أن يأكلا من اشجار الجنة كلها ما عدا شجرة واحدة، وكان الشيطان المعترض على خلقهما من البداية يريد ان يجد سبيلاً الى عصيانهما بالاكل من تلك الشجرة ورفع حس الحياء منهما، والبرهان من هنا بانه خير منهما.[٣١] فتوسل بوسيلتين للوصول الى غايته : -

١ - "فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين"

٢ - اظهار النصح والخير "وقاسمهما اني لكما من الناصحين"

---

٢٦ - المصدر السابق ص ٧ - ٨
٢٧ - النورسي – الشعاعات - ٨٥
٢٨ - النورسي - سوزلر - ٩٢
٢٩ - النورسي - سوزلر - ٦٩
٣٠ - النورسي – سوزلر - ٩١
٣١ - البقرة/ ٣٤ - ٣٥ والاعراف/ ٢٠

ان الميل الى حياة الملائكة والى الخلود من الاحاسيس السامية، فدخل الشيطان على الانسان بالوسوسة من هذا الباب ليقوده الى المعصية.[٣٢] ويعني ذلك ان الشيطان يحرك خوامد النيران في نفس الانسان.

هـ الانسان مخلوق عاجز وضعيف :

"وخلق الانسان ضعيفا".[٣٣]

ويشير بديع الزمان النورسي الى ضعف الانسان في مباحث كثيرة من رسائل النور، في مقدمتها مباحث اثبات وجود الله سبحانه. يقول في "ا لشعاعات".

"ان حياتي بعجزها وضعفها، وبفقرها واحتياجاتها، مرآة تعكس قدرة خالق الحياة وقوته، وغناه ورحمته. فكما تعرف درجات لذة الطعام بدرجة الجوع، ومراتب الظلام بمراتب النور وبمقياس البرودة ميزان الحرارة، كذلك علمت بقدرة خالقي اللانهائية ورحمته غير المحدودة بالعجز والفقر غير المحدود لحياتي مع ازالة احتياجاتي اللامحدودة ودفع اعدائي غير المعدودين. ففهمت واخذت وظيفة السؤال والدعاء واللجوء والتذلل والعبودية." [٣٤]

و ـ مخلوق ذو وجدان وضمير :

الوجدان هو مايسرنا اذا قمنا بعمل مفيد ويحزننا اذا قمنا بعمل مضر.[٣٥] وهو بمعنى آخر الحس السليم او العقلانية. الوجدان او الضمير صوت يدعونا الى الخير وينهانا عن الشر. ويقّوم تصرفاتنا الاخلاقية.

الوجدان محكمة كامنة داخل الانسان، بها يحس عذاباً في اغواره اذا فعل شراً.[٣٦] ولا شك ان الوجدان لا يصل الى الحقيقة لوحده، بل يحتاج الى توجيه وتربية لبلوغ الخير. وبعكسه قد يفقد الانسان الصراع الداخلي في نفسه ولا يحس بعذاب الضمير ازاء الشر. ويمكن تشبيه الوجدان ببرنامج الكومبيتر، بمعنى انه يعمل حسب الهدف الذي يبرمج له. ويقول سعيد النورسي :" ... لكن وجدانا سقط في اسفل السافلين، يبيع دينه بالدنيا عن علم ..." [٣٧]

ز ـ مخلوق ذو نفس :

كلمة النفس في القرآن تعني قوة حيادية هي ذات الانسان.[٣٨]

وقد تستعمل كلمة "انا" للأفادة عن النفس.[٣٩]

---

٣٢ ـانظر الاعراف / ١٩ ـ ٢٠ في عصرنا الحاضر، تستغل المشاعر والقيم السامية في اضلال الناس، لان الاضلال بهذه الاغطية ايسر واخفى. وفي الحقيقة ان كيد الشيطان ضعيف (انظر النساء الآية ٧٦) غير ان انفلات ارادة الانسان لبرهة قصيرة ، يوقعه في مثل هذه الشباك الضعيفة.

٣٣ ـ النساء / ٢٨

٣٤ ـ الشعاعات / ٦١ ـ ٦٢

٣٥ ـ الوجدان من خصوصيات النفس. وهو يلوم الانسان او يقرعه اذا ارتكب اثما او خطأ، او نوى على فعله. ويسمى " النفس اللوامة " ايضاً. لمعلومات مفصلة انظر المودودي، تفهيم القرآن (الترجمة التركية جزء ٦ ص ٤٨٦ ـ ٤٨٧ طبعة ١٩٨٧ دار نشر انسان)

٣٦ ـ محمود مهدي الاستانبولي، كيف نربي اطفالنا، الطبعة الثانية بيروت ١٩٨٥ ص ٥٤ .

٣٧ ـ النورسي ـ المكتوبات ـ ٣٧٢

٣٨ ـانظر الانعام / ١٦٤

٣٩ ـ النورسي ـ الشعاعات ـ ٥٧

وتفيد "النفس" معان اخرى مثل الروح والاحاسيس السفلى والسجايا السيئة للعبد وصفاته القبيحة.[٤٠]

ان للنفس اهواء ورغبات كثيرة. ويحذر القرآن من اتخاذها آلهة.[٤١] وهو التسليم المطلق لمطلوبات النفس.[٤٢]

وافضل الايمان في الاسلام بعد الايمان هو الجهاد [٤٣]كما ورد في مواضع كثيرة في القرآن والحديث[٤٤]. وأفضل الجهاد - كما بين النبي ρ - هو جهاد النفس.[٤٥] وبدهي انه اشق انواع الجهاد. وفي بيان المراد من الآية : **"فلا تزكوا انفسكم** .." [٤٦]يقول سعيد النورسي :

" ذلك لان الانسان حسب جبلته، وبمقتضى فطرته، محب لنفسه بالذات، بل لا يحب إلا ذاته في المقدمة. ويضحي بكل شئ من اجل نفسه، ويمدحها مدحاً لا يليق إلا بالمعبود وحده، وينزه ذاته ويبرئ ساحة نفسه، بل لا يقبل نقصاً في نفسه اصلاً ويدافع عنها دفاعاً قوياً بما يشبه العبادة، حتى كأنه يصرف ما اودعه الله فيه من اجهزة لحمده سبحانه وتقديسه الى نفسه، فيصيبه وصف الآية **{افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن**

---

٤٠ - نورد تعاريف متعلقة بالنفس متسلسلة: ١ - النفس الجمادية : النفس المادية، وهي القوة الجامعة للمادة المانعة لانفراطها. ٢ - النفس النباتية: وهي قوة التكاثر والنمو والتغذي في النبات. ٣ - النفس الحيوانية: وهي قوة الحركة بالحس والارادة. ٤ - النفس الانسانية: وهي قوة الاحاطة بالكليات في الانسان واعمال العقل فيها. ٥ - النفس الناطقة: روح الانسان، وهي جوهر يعين مقام الانسان بين ذوي الارواح. ٦ - النفس القدسية: وهي النفس ذات الملكة للحصول على كل شئ ممكن للنوع يعني حياة العالم أو روح الكائنات. فالعالم (مثله كمثل الانسان) فيه حياة. ٧ - النفس الكلية: كناية عن العرش الاعلى. (انظر Suleyman Ulug Tasavvuf Terimleri Sozlugu,S 368-369 Ist.1991اما مقامات النفس فهي بالتسلسل :
١ - النفس الامارة : وهي الامارة بالسوء، تحرضه على عمل السوء. وتتستر بستائر غليظة وكثيفة
٢ - النفس اللوامة : تلوم وتقرع عند النية على عمل السوء او عليه.
٣ - النفس المطمئنة : وهي المذكورة في الفجر / ٢٧ . تطمئن بالثبات على الصراط المستقيم واتقاء سبل الضلال، الموصولة بالله بقبول الله سبحانه رباً باطمئنان القلب مع الاقرار بان انبياء الله ايضا بلغوا بالدين الحق، وبان كل عقيدة وعمل جاء به الرسول ρ هو الحق. فالانسان في هذه المرتبة لا يتجنب عن نواهي الله كرها وجبرا ، بل حباً وعشقاً فقلبه مطمئن بكل ما في الاسلام. (انظر التفاسير - الآية ٢٧ من سورة الفجر)
٤ - النفس الراضية المرضية وهي المذكورة في الفجر / ٢٨ . يقال ساعة الموت **(يا ايتها النفس المطمئنة، ارجعي الى ربك راضية مرضية).** فاذا بعث وحشر الى الميدان يوم القيامة يوهب الاطمئنان في كل مرحلة من مراحل الحساب، لانه قريب من رحمة الله.
زيادة على هذه المراتب، تبحث بعض كتب التصوف عن النفس الملهمة والنفس الكاملة، لكنها تضفي عليهما معان باطنية في الاكثر.
٤١ -انظر الفرقان / ٤٣ والجاثية / ٢٣
٤٢ - انظر المودودي ، المصدر السابق الجزء ٥ ص ٣٠٨ - ٣٠٩
٤٣- معنى الجهاد في العربية واسع يشمل الجهد والعمل والقتال والحرب . والجهاد في سبيل الله هو صد ما نعي الهدى طلباً لرضائه وفي سبيله. واول الجهاد هو جهاد النفس لاخضاعه. فلا يستطيع امرؤ ان يجاهد حق الجهاد، مالم يجاهد قبائح نفسه ومالم يخضع رغباته وميوله لطاعة الله.
٤٤- البقرة / ٢١٨ وآل عمران / ١٤٢ والانفال / ٧٤ والتوبة / ١٦ - ١٩ والحج / ٧٨ . وانظر ايضاً البخاري / الحج - ٤ الجهاد - ١ ، الادب - ١ ، ومسلم / الايمان - ٨٠
٤٥ - اكد الرسول ρ على هذا النوع من الجهاد. انظر الترمذي / فضائل الجهاد - ٢ ، مسند احمد بن حنبل و ٦ ص ٢٠ - ٢٢ وفي الموضوع ينبغي الانتباه الى شئ مهم هو : ان الاسلام يحث على جهاد النفس ، يعني تربيتها ، ولا محل لقتل النفس او قمعها او كبتها.
٤٦ - النجم / ٣٢

يهديه من بعد الله افلا تذكرون؟ }[٤٧] فيعجب بنفسه ويعتد بها. فتزكيتها في هذه الخطوة وتطهيرها هو ترك تزكيتها ثم تربيتها." [٤٨]

ويقول في بيان الآية الكريمة **{وما ابريء نفسي أن النفس لأمارة بالسوء إلا من رحم ربي }** [٤٩]

"نعم ، ان من يعجب بنفسه ويعتد بها شقي، بينما الذي يرى عيب نفسه محظوظ سعيد. لذا فانت سعيد ياخي. ولكن قد يحدث احياناً ان تنقلب النفس الامارة الى نفس لوامة او مطمئنة إلا انها تسلّم اسلحتها واعتدتها الى الاعصاب والعروق فتؤدي الاعصاب والعروق هذه الوظيفة الى نهاية العمر. ورغم موت النفس الامارة منذ مدة طويلة فان آثارهما تظهر ايضاً. فتجد كثيراً من الاولياء والاصفياء العظام قد شكوا من النفس الامارة رغم ان نفوسهم مطمئنة، واستغاثوا بالله من امراض القلب رغم ان قلوبهم سليمة ومنورة جدا. فهؤلاء الافاضل لا يشكون من النفس الامارة، بل من وظيفتها التي اودعت الى الاعصاب. اما المرض فليس قلبيا، بل مرض خيالي" [٥٠]

ح ـ مخلوق مجبول على حب المال :

الانسان مجبول على حب المال، ولو ان له وادياً من ذهب لسعى الى وادٍ ثان.

وحب المال من اهم اسباب التنافس والصراع في الدنيا. ولذلك ايضاً تجده شحيحاً في الانفاق في سبيل الله. ويدلنا سعيد النورسي الى وسيلة للتغلب على هذه المعضلة.

" العطاء في سبيل الله، يقتضي الأخذ باسم الله. والحال في الاكثر ان المعطي غافل يعطي باسمه فيضم في عطائه منأً، او ان الآخذ غافل فيخطئ بتوجيه الشكر والثناء الخاص بالمنعم الحق الى الاسباب الظاهرة" [٥١]

ط ـ مخلوق مسخّر للرزق :

يشكل الرزق مركز عالم الانسان والحيوان. وقد جبل الانسان والحيوان على عشق الرزق، وعلى خدمة الرزق وتسخيره من اجله. يعني ان الرزق يتحكم فيهم.

ان في الرزق خزينة عظيمة الغنى والسعة. وهو جامع لانعم لا تحصى فانظر كيف وضعت موازين معنوية دقيقة بعدد المطعومات لحاسة الذوق في اللسان من اجل تذوق نعمة واحدة من نعم الرزق. فميدان الرزق واسع لا يحد. ونجد بعد انعام النظر ان في الرزق أعجب حقائق الكائنات واغناها واغربها واحلالها واجمعها وابدعها.

" ان اشد الاحياء حاجة الى الرزق والى انواعه هو الانسان. فالحق سبحانه وتعالى قد خلق هذا الانسان مرآة جامعة لجميع اسمائه الحسنى ، وأبدعه معجزةً دالة على قدرته المطلقة. فهو يملك اجهزة يتمكن بها تثمين وتقدير جميع مدخرات خزائن رحمته الواسعة ومعرفتها...وخلقه على صورة خليفة الارض الذي يملك من الاجهزة الحساسة ما يتمكن بها من قياس ادق دقائق تجليات الاسماء الحسنى . فلأجل كل هذا

---

٤٧ ـ الجاثية / ٢٣
٤٨ ـ النورسي ، المكتوبات ٤٧٤
٤٩ ـ يوسف / ٥٣ وهو قول يوسف عليه السلام بعد محن كثيرة
٥٠ ـ النورسي ، المكتوبات ، ٣٣٧
٥١ ـ النورسي ، المكتوبات ، ١٤

اودع سبحانه في الانسان فاقة لا حد لها، وجعله محتاجاً الى انواع لا تحد من الرزق المادي والمعنوي. وما الوسيلة التي تمكّن الانسان من العروج الى اسمى مقام (وهو مقام " احسن تقويم" بما يملكه من الجامعية) إلا الشكر. فاذا فقد الشكر تردى الى " اسفل سافلين" وارتكب ظلماً عظيماً[٥٢]

لقد منح الانسان نعماً كثيرة تدل على عظمة الواهب وجلاله، وكذلك على خصائص الانسان المستفيد من تلك النعم. [٥٣]

العجز والفقر يشدان الانسان الى القدرة والرحمة المطلقتين. وايضاً هما وسيلتان الى شفاعة مقبولة في باب القادر الرحيم. [٥٤]

ي ـ نماذج من الشخصيات التي جسدها في الامثال :

يجسد سعيد النورسي شخصيات انسانية متنوعة حين التمثيل في مباحث عديدة، منها شخصيات متعارضة . فنذكر نماذج من هذه الشخصيات :

١ ـ نموذج الانسان الاناني الشقي.
٢ ـ نموذج الانسان السعيد المهتدي. [٥٥]
٣ ـ نموذج الانسان العاصي التابع للهوى. [٥٦]
٤ ـ نموذج الانسان المحتاج. [٥٧]
٥ ـ نموذج الانسان المشؤوم السئ الطالع.[٥٨]
٦ ـ نموذج الانسان النهم الاكول. [٥٩]
٧ ـ نموذج الانسان المتكبر المتفرعن. [٦٠]
٨ ـ نموذج الانسان السكير المدمن. [٦١]

النتيجة :

لقد دققت آثار سعيد النورسي من جوانب عديدة، وكتبت عنها بحوث كثيرة. وفي رأينا ان اهم خصائصها الاستلهام من القرآن، واحاطتها علماً بعصرها ومعضلاته ومتابعتها واسناد مسائلها الى حقيقة الانسان .

واظن ان الضرورة سوف تلجئ الى زيادة مثل هذه البحوث مستقبلاً. وقد حصرنا جهدنا في هذا البحث المتواضع في الاشارة الى اهمية التفكير بهذا الموضوع.

---

٥٢ ـ النورسي ، المكتوبات ، ٣٧٥ ـ ٣٧٧ . ويرى سعيد النورسي " ان الشكر هو اعظم اساس من الاسس الاربعة التي يستند اليها سالك اسمى طريق واعلاه، ألا وهو طريق العبودية والحب لله تعالى والمحبوبية. وقد عبر عن تلك الاسس الاربعة بالبيت :

در طريق عجز مندى لازم آمدجار جيز عجز مطلق، فقر مطلق، شوق مطلق، شكر مطلق أي عزيز

وهو بالفارسية والمعنى : "ايها العزيز ، في طريق عجزك يلزم اربعة اشياء : العجز المطلق والفقر المطلق والشوق المطلق والشكر المطلق.

٥٣ ـ النورسي ، سوزلر ، ٦٩
٥٤ ـ النورسي ، سوزلر ، ٦
٥٥ ـ النورسي ، سوزلر ، ١٦
٥٦ ـ النورسي ، سوزلر ، ١٩
٥٧ ـ النورسي ، سوزلر ، ١٩ ، ٢٤ ، ٢٥
٥٨ ـ النورسي ، سوزلر ، ٢١
٥٩ ـ النورسي ، سوزلر ، ٢٣
٦٠ ـ النورسي ، سوزلر ، ٢٧
٦١ ـ النورسي ، سوزلر ، ٢٧

ونوصي الذين يتوجهون الى البحث في الموضوع ان يضعوا نصب اعينهم اثناء تدقيق رسائل النور معطيات النظم العلمية الاخرى المعرّفة بالانسان.

ان الهدف الصريح لتوجيهات رسائل النور هو تعريف الانسان للانسان. وما اجمل وصيتها الجامعة المانعة:

" ايها الانسان الذي يعد ذاته انساناً اقرأ ذاتك ...وإلا قد تكون انساناً في حكم الحيوان او الجماد" [٦٢]

ترجمة : عوني لطفي اوغلو

٦٢ - هذه العبارة تذكرنا برباعية للشاعر الصوفي التركي يونس امره ، و تعريبها هو :
العلم ان تعرف العلم ، العلم ان تعرف نفسك . عبث ما تقرأ ، ان لم تعرف نفسك.
ملاحظة : ما ورد من اشارات الى الرسائل في الهوامش ، فهي احالة الى النسخة التركية من كليات رسائل النور ، طبعة استانبول